سابعا : القول بالزيادة : الزوائد – وهي كلمات وأكثرها حروف – رأى بعضهم أنها لا حاجة لها من حيث الاعراب ، فإذا أُسقطت بقي الكلام تاما، كالباء في خبر ليس ، حذفها ووجودها سواء ، تقول " أليس الله بقادر " وتسقط الباء فتقول أليس الله قادراً فهي إنما يؤتى بها لتأكيد الكلام وتقويته وذهب آخرون إلى أنها لا تزيد المعني شيئا وإنما جيء بها لغرض لفظي يتعلق بجرس الكلام ، وجمال إيقاعه وحلاوة نغمه . يقول الدكتور فضل ويقيناً أن هذه الزوائد- يعني الادعاء بأن هذه الأحرف زائدة- لم تكن معروفة ، ولم يكن لها وجود عند أولئك الذين نزل القرآن فيهم ، ونكاد نجزم أنها لم تكن شائعة مشتهرة في خير القرون كذلك ، بل كان كل حرف من حروف القرآن الكريم وكل كلمة تعمل في نفوسهم عملها ، ذلك لأن هذه الكلمات كان لكل منها معنى تؤديه ، ولقد منّ الله سبحانه وتعالى عليّ وله الفضل والمنة بإخراج كتاب (لطائف المنان وروائع البيان في دعوى الزيادة في القرآن) أحصيت فيه ما ادعي أنه زائد في كتاب الله – وهي سبع وعشرون كلمة – والآيات التي ادّعي أن فيها زيادة ، ورددت هذا القول ردا نرجو أن نكون قد أصبنا فيه إن شاء الله ، ولذا فإننا نكتفي بذكر بعض الأمثلة هنا ، ومن أراد الإستزادة فليرجع إلى الكتاب المذكور:

١- قال تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } [البقرة : ١٩٥] . قالوا إن الباء زائدة ، ونعجب مما قالوا ؛ لأنه ليس المقصود هنا بالنهي إلقاء الأيدي فيكون المعنى لا تلقوا أيديكم . وإذا وقفنا مع النص الكريم وجمعنا النصوص بعضها إلى بعض ، ندرك أن ما ذكروه غير مستقيم ، فالآية { وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة} واليد يعبر عنها كثيرا في نصوص الكتاب والسنة بأنها المعطية أو المانعة ، قال تعالى { ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) [الإسراء : ٢٩] وفي الحديث " ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه " وما قاله عليه الصلاة والسلام " أسرعكن بي لحوقا أطولكن يدا " . الآية الكريمة – إذن – تريد أن

تبين أن اليد هي سبب التهلكة ، والمعنى إذن أنفقوا وجاهدوا ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى التهلكة ، فتكون اليد سببا في الهلاك.

٢- قوله سبحانه { فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن } (يوسف : ٣١] قالوا الباء زائدة ، والتقدير " سمعت مكرهن " ونحن إذا رجعنا إلى الآيات القرآنية الكريمة وجدنا هذا الفعل قد ذكر كثيرا في كتاب الله ، يتعدى بنفسه دون حرف الجر ، قال سبحانه ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ﴾ [آل عمران: ١٨١] وقال﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة: ١] وقال ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾ [النور: ١٢] ولعل هذا هو الذي أغرى القائلين بالزيادة . ونحن عندما نقف مع هذه الآيات الكريمة نستشعر الفرق بينها وبين الآية التي معنا ، فهذه الآيات كلها كان السماع فيها مباشرا دون واسطة ، ولكن الآية التي معنا ليست كذلك ، فامرأة العزيز لم تسمع من هؤلاء النسوة سماعا مباشرا ، ثم أن المكر بمعناه الظاهر لا يسمع ، وعلى هذا فلقد جاءت الباء تؤدي رسالة لا يتم الأمر إلا بها . إن من المعلوم أن أخبار الملوك وأصحاب القصور سريعة الانتشار ، ثم إن الناس يتحدثون عنهم دون أن يجابهوهم ، فالنسوة في المدينة يتحدثن ، وهناك من تود أن تكون لها حظوة عند امرأة العزيز ، فتنقل لها هذه الأقوال ، فكان السماع هنا مضمن معنى الإخبار ، أي أُخبرت بمكرهن ، وإنما اختير الفعل (سمع) لبيان عناية المرأة ، ورغبتها في أن تستمع لكل ما يقال عنها . وجاءت الباء لتبين لنا أن هذا السماع إنما كان بواسطة ، وهكذا لا يمكن أن نتصور زيادة الباء ؛ لأن القول بالزيادة لا أقول سيذهب برونق اللفظ وحده بل بدقة المعنى كذلك ، لأنه إذا قيل{ فلما سمعت مكرهن } دل ذلك على أنها كانت معهن في مجلس واحد فلا معنى حينئذ لقوله { فأرسلت إليهن } . الباء في الآية الكريمة – إذن –

لها شأنها ، وليس وجودها وعدمها سواء ، بل هي من أساسيات النظم الذي هو انسجام اللفظ مع المعنى .

٣- قال تعالى ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] قالوا إن اللام زائدة أي نقدسك . والتقديس التطهير ، أي نظهر أنفسنا ، وأفعالنا وقلوبنا لك ومن أجلك ، وهذا أحد معنيين للآية الكريمة ، والذي يحسن هذا التأويل أن قول الملائكة (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) جاء في مقابلة قولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] فقد ذكروا أمرين اثنين : - الأمر الأول : الإفساد في الأرض ورأسه الشرك ، فقابل الملائكة هذه المعصية بالتسبيح ، وهو البعد في تنزيه الله تبارك وتعالى عما لا يليق بجلاله سبحانه ، ويدخل الشرك في ذلك دخولا أوليا ، لذلك فإن الله تبارك وتعالى { لا يغفر أن يشرك به } . والأمر الثاني : سفك الدماء ، وهو أبشع الجرائم ، وذكروا في مقابله التقديس وهو التطهير ، أي نطهر أنفسنا من أجل الله . وعلى هذا المعنى لا تتصور زيادة اللام . وأما المعنى الثاني : فإن التقديس خاص بالله تبارك وتعالى ، وفرقوا بين التسبيح والتقديس ، إذ التسبيح يلاحظ فيه جهة العبد المنزِه ، أما التقديس فيلاحظ فيه المنزَه سبحانه، وعلى هذا المعنى : نقدسك لا من أجل شيء، ولكن لأجلك أنت ، فاللام تعليلية.

٤- قال تعالى { وفجرنا فيها من العيون } [يس : ٣٤] قالوا إن من زائدة والمعنى وفجرنا فيها العيون قياسا على قوله تعالى حكاية عن الطوفان { وفجرنا الأرض عيونا } [القمر : ١٢] . والحقيقة أن (من) هنا تبعيضية ، لأن الله لم يفجر عيون الأرض جميعا ، وشتان بين ما تشير إليه كل من الآيتين فالآية الأولى – أعني آية يس – تتحدث عما أكرم الله به الإنسان من تفجير بعض عيون الماء في الأرض نعمة منه

سبحانه ، والآية الثانية تتحدث عما كان أيام الطوفان عقوبة وانتقاماً ، ولقد كانت الأرض كلها كذلك. أي كلها تجري عيونا

٤- قوله تعالى { حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر } (آل عمران : ١٥٢) التقدير عندهم : حتى إذا فشلتم تنازعتم في الأمر ، ، والتقدير عندهم حتى إذا فشلتم .. ويرى الفراء أنه مقدم ومؤخر ، حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم ، فهذه الواو معناها السقوط كما يقال ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٤] معناه ناديناه ، وهو في (حتى إذا) ، (فلما أن) مقول لم يأت في غير هذين ، قال الله تبارك وتعالى ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦] ثم قال ﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٧] معناه : اقترب ، وقال الله تبارك وتعالى { حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) (الزمر : : ٧٣] ، وفي موضع آخر {فتحت } [الزمر : ٧١][1]. فقد ذكر الفراء هنا عدة آيات عد الواو فيها زائدة ، وقال إن الواو مآلها السقوط حيث ادعى أمرين خطيرين الأول الزيادة والثاني التقديم والتأخير . والواو في هذه الآيات جميعها ليست زائدة ، بل لا يتم المعنى إلا بها ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فهي في محلها غير قلقة ولا نابية ولا تقديم فيها ولا تأخير ، أما آية آل عمران : حتى إذا فشلتم " فقد قال الزمخشري فيها : " فإن قلت : أين متعلق (حتى إذا) ؟ قلت : محذوف ، تقديره : حتى إذا فشلتم منعكم نصره[2] ، فالواو – إذن – عاطفة ، عطفت بعض الأمراض على بعض ، فالفشل – الضعف – والتنازع مرضان في حياة الأمم في حربها وسلمها وهما لا ريب من شر ما أصيبت به هذه الأمة ،. ونكتفي بما ذكرناه فيما ادعي أنه زائد ، فليس غرضنا الاستقصاء ، ولكن غرضنا بيان الإعجاز

---

[1] ينظر معاني القرآن للفراء (٢٣٨/١)
[2] الكشاف(٤٢٧/١)

في كل آية ، بل في كل كلمة وكل حرف في كتاب الله ، فكل حرف جاء مكانه الذي لا يسد حرف آخر مكانه ، ولا يستقيم المعنى بدونه .